(خطر المسئولية)

الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ، لاإله غيره ولامعبود سواه... لاإله غيره ولامعبود سواه...نَحْمَدُه سبحانه وتعالى ونشكره ونتوب إليه ونَسْتغفرُه ، ونَعوذُ بالله مِنْ شُرورُ أنْفُسِنا ومِن سَيئاتِ أعْمَالِنا مَنْ يَهدِه الله فلا مُضِلّ لَه ومَنْ يُضلِل فلا هَادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له القائل : (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبدُ الله ورسوله القائل : (بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ...فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ) قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَمَنِ الْغُرَبَاءُ ؟ قالَ : الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ)

اللهم صل وسلم وبارك على الناصح الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد فيقول الله تعالى :

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ...)

عباد الله : عندما ننظر فى واقع الأمم سواء على مستوى الدول أو الجماعات نرى الناس يتسابقون إلى أن يكونوا أعضاء فى مجالس أو هيئات للشهرة والعلو على الناس ، ولو يعلمون الحقيقة ما قبلوها ولفروا منها...لماذا ؟ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (ما من عبدٍ يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة) وفى رواية : (ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يُحطها بنُصْحِه لم يَجِد رائحة الجنة) فهذا تَحْذِير لِكل مَنْ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ على أمر دِينِي أوْ دُنْيَوِي...فإذَا لم يقم بما اؤتمن عليه من مسئولية فقد ارتكب كبيرة مِنْ الْكَبَائِر تحرمه من الْجَنَّة ومن رائحتها...لذلك يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(من وَلِيَ أمر عشرة فما فوقهم جاء يوم القيامة ويداه مغلولتان إلى عنقه حتى يطلقه عدله أو يوبقه)

• ثم انظروا إلى هذا الحديث الذى يجسد فساد دين المسلم عند طلبه المال ليذكر به بين الناس ، وعند طلبه المنصب للشهرة بمثال محسوس...فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (ما ذئبان ضاريان باتَا في حظيرةٍ فيها غَنَمٌ يَفترسان ويأكلان بأسرعَ فسادًا من طلب المال والشرف في دين المسلم) فلكم أن تتخيلوا ذئبين جائعين دخلا فى حظيرة غنم وقد غاب عن حظيرة الغنم صاحبها...لاشك أنه لا ينجو من الغنم إلا القليل ، فكذلك دين المسلم يكون أكثر فسادا من فساد الذئبين الجائعين فى الغنم ولم لا ؟ فيقول تعالى عن الشهرة :

(لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

• فعن حب السلطة : يقول أبو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ...قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ألا تَسْتَعمِلني ؟ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلى مِنْكبي ثُمَّ قالَ : (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا) والسبب فى طلب أبى ذر الولاية : لما ولى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلاناً على نجران وفلاناً علي اليمن وفلاناً علي مكة خشي أبو ذر أن يكون الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يولي من يحب...فأراد رضي الله عنه أن يكون له نصيب من هذا الحب فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا)

• وليس كل إنسان يصلح للمسئولية...فالمسئولية فى حاجة إلى قوة وسرعة فى اتخاذ القرار ، لذلك لايصلح لها بعض الأتقياء لماذا ؟ لأن التقي يصوم النهار ويقوم الليل فعنده ثقة فى جميع الناس...ولكن يوجد بعض الناس فيه قليل من تقوى لكنه يجيد المسئولية لذلك لما سئل الإمام أحمد رحمه الله أيولى على المسلمين القوي الفاجر أم الضعيف التقي ؟ قال : يولى عليهم القوي الفاجر لأن قوته للمسلمين وفجوره على نفسه ، أما الضعيف التقي : فضعفه على المسلمين وتقواه لنفسه ويقول ابن تيمية رحمه الله : لقد ولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بعض الولايات خالد بن الوليد وفي الصحابة من هو أتقى منه كـأبي ذر وفلان وفلان... إلا أن خالد رضي الله عنه كان أجدر بالإمارة وأحسن بالسياسة فولاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فمن رأى فى نفسه القدرة على القيام بحق المسئولية فليطلبها وإلا فليتركها لغيره سلامة له فى أمر دينه وأمر دنياه ، وتتفاوت المسئوليات...فأولى مسئوليات الهيئات وإدارات المساجد فى هذه البلاد : الدعوة إلى الله وذلك بنشر الكتب الإسلامية ، وقد وفرنا لكم الزاد وما عليكم إلا أن تنشروه...

• قد يقول أحدكم : إن يوسف عليه السلام قد طلب الولاية لنفسه كما أخبرنا ربنا : (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) نقول : ما طلبها يوسف عليه السلام لنفسه فما ينطق عن الهوى...فلقد أنطقه الله بذلك ليقر قانونا فى الكون نتعلم منه أن : المكر السيء لايحيق إلا بأهله ، فلقد مكن الله ليوسف فى الأرض من أول يوم بيع فيه عبدا قال تعالى : (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَيَعْلَمُونَ) فلما خرج من السجن وكلمه الملك كما قال تعالى : (فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ) عندئذ قال يوسف عليه السلام : (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) لأنه الأجدر لهذه المهة التى تحفظ العالم من الجوع

• وعن حب المال : فالمنهي عنه هو طلب المال ليعلو به على الناس ، أما إذا حرص على المال طمعا فى الأعمال الصالحة فمرحبا به إذا كان من حلال وأنفق في وجوه الخير...فالخيارات أمام صاحب المال كثيرة : بماله يزوج شاباً ، بماله يعالج مريضاً ، بماله يرعى أرملة ، بماله يطعم يتيماً ، وبماله ينشئ مسجدا أو معهدا أو مستشفى...بل إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل درجة الغني المنفق

قريباً من درجة العالم العامل فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لاحَسَدَ إلاّ في اثْنَتَيْن : رَجلٌ آتَاهُ الله مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُ منهُ آنَاءَ اللّيْل وآنَاءَ النّهَار ، وَرَجُلٌ آتَاهُ الله القُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللّيْل وَآنَاءَ النّهَار) .

فالمال سلم يرقى بها الإنسان إلى الفردوس الأعلى فى الجنة أو دركة يهوي بها فى النار ، فالعطاء ابتلاء بل الإبتلاء بالعطاء أخطر من الإبتلاء بالمنع...لقوله تعالى : (فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَن * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ...) فإذا كان سعي الإنسان لجمع المال وفقط فهذا تضييع لرأس المال الحقيقي وهو العمر قيل لبعض الحكماء : إن فلانا جمع مالا...فقال : فهل جمع أياما ينفقه فيها ؟ قيل : لا...فقال : ما جمع شيئا...كأنه يقول له : لقد ضيع عمره فى جمع المال ولم يحقق العبودية الكاملة التى خلقه الله من أجلها وهي العبادة ، فالذى يشغل نفسه بجمع المال وفقط قد يموت وهومحروم منه وسيتركه لغيره وهو الذى سيسأل عنه من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟ وقد لايؤدى فيه الزكاة ، فكل مال لايؤدى زكاته فهو كنز لذلك يقول ربنا فى كتابه : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ) ويقول :

(وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ...)

• فلا تجعل الدنيا غايتك أخى المسلم ولكن سارع بالأعمال الصالحة...فإن الله يعين على الشر إذا اختاره الإنسان كما يعين على الخير قال تعالى : (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) فالأعمال الصالحة سبيل النجاة من العقبات قال تعالى : (فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ..) فقد يتعرض الإنسان لعقبات فى الدنيا قبل عقبات الآخرة...فعقبات الآخرة : عقبة خروج الروح ، وعقبة القبر ، وعقبة الحشر ، وعقبة العرض ، وعقبة الحساب وعقبة الميزان ، وعقبة المرور على الصراط ، هذه العقبات نحن أحوج ما يكون إلى أن يعرفنا الله فيها ، فمن تعرف على الله في الرخاء أدخله الله الجنة عندئذ سيقول : (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) ويقول : (...إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ) أما المعرضون عن ربهم في حال الرخاء فيقال لهم يوم القيامة : (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِالْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ) وهذا تصديق لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(تعرَّف إلى الله في الرخاء يَعْرِفْك في الشدة) والأمثلة كثيرة من تاريخ الأنبياء عليهم السلام :

• فهذا يونس بن متّى عليه السلام : يبتلعه الحوت فيصبح فى ظلمات ثلاث...فلا أحد يعلم مكانه فلما نادى بقوله : (لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) فيستجيب الله له قال تعالى : (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ) ويبين الله لنا سبب إنقاذه وهي أعماله الصالحة التى كانت له فى حال الرخاء قال تعالى : (فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

قال الحسن البصري : ما كان ليونس صلاة في بطن الحوت...ولكن قدم عملاً صالحًا في حال الرخاء فذكره الله في حال البلاء...

• وفي البحر قصة أخرى : فهذا فرعون يدركه الغرق فيدعو بالتوحيد الذى كان ينسبه لنفسه كان يقول : أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى يخبرنا الله عنه فيقول : (حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) فيأتيه الجواب بقوله تعالى : (آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) لقد سمعت الملائكة دعاء كلا المكروبين...فالكرب واحد...والصورة واحدة!!! فما الفرق بين الحالين ؟ الفرق واضح...فرق بين من أطاع الله في الرخاء ، وفرق بين من عصى الله فى الرخاء...

• وهذا نبي الله أيوب عليه السلام : كان كثير المال من صنوفه وأنواعه ، من العبيد والأنعام والمواشي والأراضي ، وكان له أولاد كثير وأهلون فسلب ذلك كله وابتلي في جسده بأنواع البلاء لم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر بهما ربه ، فلما تخلى عنه كل الناس دعا ربه كما أخبرنا ربنا : (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) فيأتيه الغوث سريعا قال تعالى :

(فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ)

• وهذا زكريا عليه السلام : يدخل على مريم عليها السلام فيجد عندها رزقًا لم يأتِ أوان حصاده فلما سألها : (قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا؟) (قَالَتْ هُوَمِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) عندئذ نظر زكريا إلى نفسه فإذا هو طاعن في السن وكذلك امرأته كبرت سنها وعقيم لاتلد ولكن الذي يرزق الشيء في غير أوانه قادر على أن يرزقه ولدًا وإن كان طاعنًا في السن وإن كانت امرأته عاقرا فنادى ربه كما أخبرنا ربنا بقوله تعالى : (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) فجاءه الجواب سريعا : (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَّهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) فكيف حصل هذا ؟! لا تسأل...وحسبك أن تقول : إنه عرف الله في الرخاء فعرفه الله في الشدة وعند الحاجة .

• وهؤلاء الثلاثة من بني إسرائيل : الذين قص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علينا قصتهم يوم أن آواهم المبيت إلى غار فانحدرت عليهم صخرة عظيمة أغلقت باب الغار...فأصبح الغار صندوقا مغلقا عليهم ، إن نادوا فلن يسمع نداؤهم ، وإن استغاثوا لم يغثهم أحد ولاتقوى سواعدهم على دفع الصخرة عنهم...لقد أصبحوا فى كربة وشدة...فماذا يصنعون وهم يعلمون أنهم ميتون لامحالة ؟ فلم يجدوا وسيلة يتوسلون بها إلا أن يتذكروا معاملتهم مع الله في الرخاء فدعوا الله بصالح أعمالهم في الرخاء...

• **فالأمة اليوم تعيش فى شدة فهي تدفع ثمن غفلة طويلة ونسيان لله ، فها نحن ندعو في الشدة...ندعو في الشدة...ولايستجاب لنا لماذا ؟ لأننا فرطنا في الرخاء...فالعودة العودة إلي الله ياعباد الله حتى يفرج الله كربنا إن شاء الله...وعن ثمرات العودة إلى الله سيكون موضوع اللقاء القادم إن شاء الله ، وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : (كل ابن آدم خطاءوخير الخطائين التوابون) .**